بيت مومي (bit mumme) في مدينة آشور
دار للفنون في بلاد آشور

أ.د. عبد الآله فاضل محمد نوري
كلية الآداب – جامعة بغداد

لقد عرفنا من المصادر الكتابية في العراق القديم بأن التماثيل الآلهية قد صورت وأجريت عليها عملية صيانة في ورشات خاصة تابعة للمعبد وكان يجرى عليها طقوس سرية تكرس لتحويل حالة عدم الحياة والجمود إلى قبول الوجود الآلهي وخلال احتفالات ليلية خاصة يوهبون (الحياة) حيث كانت عيونها وأفواهها "مفتوحة" لكي تتمكن من أن ترى وتأكل ، وقد تعرضت إلى عملية "غسل الفم" وهي الشعائر الدينية التي اعتقد على أنها تقدم قدسية خاصة . ويبدو أن صنع تماثيل الآلهة يخلق داء معيناً في كل الديانات التي توجد لتلك التماثيل وظيفة مقدسة . أما عن علاقة التمثال بالمعبد الذي يوضع فيه على قاعدة موجودة في غرفة المعبد الداخلية ، وأنها متطابقة مع علاقة الملك بقصره في كل الحالات الأساسية وكذلك علاقته بمدينته . لقد عاش الإله مع عائلته في المعبد وقدم له الخدمات موظفو المعبد بأسلوب جيد[1] .

وأن أعمال الفنانين الذين قاموا بأنتاج :ذه الأعمال الفنية مثل تماثيل الآلهة وتماثيل الملوك والمعمولة من الخشب والنحاس والبرونز والمعادن الثمينة والأعمال الفنية الأخرى سوف تبقى جميعها غير معروفة بصورة واضحة.

أن المعلومات القليلة الموجودة لدينا التي تمكنا من معرفة شخصياتهم الفنية عن قرب قد جاءتنا من نصوص لغوية . وقد ظهرت الإشارات عن نشاطاتهم محصورة في تقارير النصوص الملكية حيث شيدت للملك مسلة بصورته أو بصورة أحد الآلهة ، وأن الملك أمر بعمل تماثيل ضخمة ومنقوشة لكي تحمي المداخل المؤدية إلى القصور والمعابد ، فضلاً عن ذلك فقد جهز الملك المعبد

بالهدايا النذرية الثمينة والأثاث والمواد الكثيرة العدد التي لا نعرف عنها شيئاً لكننا نعرف عنها من دلالتها ومن مادة صنعها ومع ذلك فأن الإشارات عن الفنانين وعن أعمالهم تعتبر قليلة جداً حتى التي وردت في الرسائل ، وهناك إشارات عن تماثيل صنعت للملك ولعائلته وروت في المراسلات الملكية من العهد الآشوري الحديث (الفترة السرجونية) ، وكذلك إشارة عن تماثيل كبيرة أتصفت بوزنها الثقيل وقد صنعت من ذهب وأحجار كريمة وقد نسبت إلى أصحاب الحرف (أي الفنانين) ونحن بدورنا نقوم بتجميع بعض المعلومات التي تتعلق بأعمال الفن وصناعتها مثل الحجم والمهارة الفنية وعملية الصهر وأنواع الموصوفات الواردة في نصوص ملكية وعلى أي حال فأن شخصية الفنان تبقى بعيدة عن معرفتنا بصورة واضحة[٢].

أما من الناحية اللغوية فأن صنع أو أنتاج هذه الأعمال الفنية من تماثيل للآلهة أو للملك فقد ذكرت في نصوص من فارة وكذلك في كتابات أور الاكائية أي في الثلث الثاني من الألف الثالث ق.م وقد استخدم الفعل السومري (tag_4) أو (aka) وهذان الفعلان يقابلهما في الأكدية (epēšu) يعمل[٣] .

وكذلك ورد المصطلح الحرفي (tag_4 alam) من زمن أوروكاجينا[٤] . ومنذ زمن الحاكم أور نانشه لمدينة لكش (نحو ٢٤٥٠ ق.م) فقد أستخدم الفعل السومري (tud) والذي يعني (خلق ، ولد اوجد) وخاصة للتماثيل التي تكون في وضعية تعهد . أما بالنسبة إلى الفعل الأكدي (alādu) ويعني "ولدت" والذي استخدم في الألف الأول قبل الميلاد لإنتاج تماثيل الآلهة[٥] .

وكذلك تم استعمال الفعل السومري (dù) ويعني (عمل ، انتج) وكذلك الفعل (dím) (انتج ، خلق) مع التركيز على ناحية الصنع اليدوي ويقابل هذا الفعل في اللغة الأكدية (epēšu) والذي يعني (عمل ، أنتج) [٦] وكذلك الفعل الأكدي (banû) ويعني (عمل ، خلق) [٧] .

أن تماثيل الآلهة صنعت أو خلقت أو أنتجت في ورشة أو دار خاص فقد جاء في إحدى النصوص الكتابية (ina bīt mārē ummani ašar ilū ibbannu) وترجمتها "المكان الذي خلقت فيه الآلهة هي ورشة أو دار (بيت الحرفين الفنانين)[٨] وأن هؤلاء الحرفين أي الفنانين عرفوا بمصطلح (mār ummani) وهم الذين شاركوا في إنتاج أو تصنيع تماثيل الآلهة أو الملك وكل حسب اختصاصه[٩] .

وأن لهذه الأعمال الفنية المختلفة يعدّ من الشيء الطبيعي توفر الحاجة إلى حرفيين أو فنانين ومن ذوي الأختصاصات المختلفة[١٠] والذي أطلق عليهم الملك الآشوري أسرحدون في كتاباته (mārē ummani) "أي الفنانين"[١١] .

وكذلك يخبرنا هذا الملك الآشوري في كتاباته أيضاً بأن هذا العمل الفني المهم ليس بمقدور أي فنان أو حرفي عمله وأنما هناك نوع من الفنانين أو الحرفين الكبار الذي يمتلكون (أسرار المعرفة) وقد استعمل في كتابته المصطلح اللغوي (pirištu) ومن خلال طقوس دينية خاصة يقدم فيها الضحايا[١٢] وأن هذه الإجراءات على كل حال كانت تتم لأختيار الفنانين لهذا العمل ولاسيما في زمن الملك الآشوري أسرحدون[١٣] .

ومن هؤلاء الفنانين ذوي الأختصاصات المختلفة منهم النجار (nagaru) وصائغ الأحجار الثمينة (zadimmu) وكذلك المختص بالتعدين (qurqurru) وكذلك قاطع الأحجار أي النحات ؟ (pur gullu) وهؤلاء جميعاً أطلق عليهم (mārēummani) أي الحرفين أو الفنانين لأن حرفهم تكتسب الطابع الفني[١٤].

وكانت لهؤلاء الفنانين علاقة خاصة بمعبد الإله آشور في مدينة آشور كما جاء ذكرهم في النصوص الكتابية من العهد الآشوري الحديث ، وبعد دراسة للإشارات التي ذكروا فيها يمكن القول أنهم مرتبطون بصورة وأخرى فقط مع معبد الإله آشور في مدينة آشور المقدسة وأن هؤلاء الفنانين يعودون بصورة

مؤكدة إلى بيت مومي (bīt mumme) الذي يعدّ دار الفنون في مدينة آشور الذي يتم فيه أنتاج أو تحسين أو إصلاح أو تجديد تماثيل (أو صور) الآلهة والملوك[١٥].

وكذلك جميع الأدوات الطقوسية الخاصة بالمعبد فهناك الذي يعمل الأقواس "sassinu"[١٦] وكذلك النجار "nagaru"[١٧] فأنها إشارات كتابية تشير إلى ارتباطهم بمعبد الإله آشور ، أما الفنانين أو الحرفين الآخرين مثل الذي يصوغ المجوهرات والذي عرف بالمصطلح اللغوي (kutimmu) [١٨] أي (Jewieler) وأعداد من صياغ الذهب (SIMUG GUŠKIN) أي (nappāḫḫurasi) [١٩] وكذلك النحات (purkullu) [٢٠] ، وصلت هناك رسائل أخرى من العهد الآشوري الحديث التي لها علاقة مباشرة مع بيت مومي ، فمثلاً هناك نص كتابي له علاقة بعمل أنابيب (^{giš}ra-te-e-te) للآله أدد وبابا[٢١] وكذلك رسالة أخرى يطلب فيها شخصاً أسمه آشور مدمق فضة لتحسين عرش الآلهة آشور أنليل[٢٢] وفي أمر ملكي من نوع (abat - šarri) يعطي الملك نفس الشخص المدعو (آشور مدمق) وبجانبه جاء ذكر فنانين آخرين أو حرفين يتعاملون مع الأحجار النفيسة[٢٣] .

وكذلك في رسائل آشورية أخرى والتي تخص أنتاج أو صنع تماثيل آلهة أو ملوك ، وربما يكون الشخص المدعو (آشور مدمق) المسؤول عن هذه الورشة الفنية[٢٤] .

وكذلك في بيت مومي فقد ذكر على سبيل المثال أنه أتم عمل تاج للإله آشور وكذلك عمل تماثيل لإلهة مختلفين[٢٥] .

كما هناك نص آشوري يذكر الأحجار الثمينة والمواد القيمة للعاملين في بيت مومي كما أنه يذكر أن هذه المواد تكون تحت رقابة (Lú Lahhinu) [٢٧] ويكون هذا مسؤولا وبصورة خاصة في معبد الإله آشور على الأدوات الثمينة الموجودة في المعبد (أي موظف أداري يعود إلى المعبد) كما أن النص ذكر أن بيت هذا الموظف هو نفس بيت خزائن المعبد والذي يحمل مصطلح (bīt nakam/ nte)[٢٨] .

أما المكان الذي يتواجد فيه هؤلاء الفنانين والحرفين هو صلب بحثنا هـذا، لقد أطلق على هذا المكان مصطلح بيت مومي (bīt mumme) ولكـن السـؤال يطرح نفسه ماذا يعني بيت مومي .

أن بيت مومي يعدّ من المباني المهمة لمعبد الإله آشور ولكننا من الناحيـة الأثرية لم نستطع لحد الآن تعين مكانه ، بالرغم من التنقيبات العلمية لمدينة آشـور والتي أكتشفها (Rich) في عام ١٨٢١[٢٩] .

فقد قامت الجمعية الشرقية الألمانيـة فـي عـام ١٩٠٣-١٩١٣ برئاسـة كولدوي وفالتراندريه[٣٠] وقد تم من خلال التنقيبات الأثرية أكتشاف معابد كثـيرة التي تم معرفتها ومنها أبنية معبد آشور وأبنية معبد عشتار وكذلك معبد آنـو – ادد ومعبد سن – شمش ومعبد نابو وبجانب ذلك أيضاً من المصادر الكتابية الخاصـة ولاسيما النص الآشوري الذي عرف بعنوان "كتاب عناوين الآلهة"[٣١]. الـذي ورد فيه أعداد أخرى من المعابد والمزارات لمدينة آشور التي لم يتم تعيينـها للوقـت الحاضر من الناحية الأثرية .

وكذلك أيضاً في مدينة آشور ولاسيما في أبنية معبد عشتار لا يمكن معرفة الترتيب الواضح للأماكن والغرف الخاصة بالآلهة[٣٥] .

وأن غالبية هذه النصوص عثر عليها في (السيتو) وحسب مـا جـاء فـي النص الكتابي "كتاب عناوين الآلهة"[٣٣] فأن في مدينة آشور أبنية لثلاث زقـورات أي للإله انليل[٣٤] وآشور ومعبد آنو – ادد وهذين الاخرتين علـى الاقـل هنـاك بعض من بقايا لها[٣٥] . مع العلم أن أكبر هذه الزقورات تقع ما بين معبـد الإلـه آشور والقصر القديم والتي كانت تعود في العصر الآشوري الحديث إلـى الإلـه آشور[٣٦] وأن قصور مدينة آشور[٣٧] فأنها تعود في المرتبة الثانيـة لأن المدينـة حسب ما اعتقد فأن الملوك الآشوريون يسكنونها في أوقات معينة مثلا في أوقـات الاحتفالات المقدسة والرسمية فأنها تكون حكرا لإقامة الملوك الآشورين ولاسـيما في العهد الآشوري الحديث (الفترة السرجونية) وليس كقصور دائمية لإقامة الملـك

كما أن المدينة عدذت العاصمة المقدسة[٣٨] . كما أنها كانت مقرا لدفن الملوك الآشوريين[٣٩] .

وكان بيت مومي (bīt mumme) [٤٠] يعدّ من المباني المهمة في مدينة آشور، والذي له علاقة على أية حالة مع معبد الإله آشور[٤١] ولكن لا يمكن معرفة مدى نفوذ أو أرتباط معبد الإله آشور مع بيت مومي بصورة واضحة ويجب أيضاً توضيح العلاقة ما بين هؤلاء الفنانين أو الحرفين والأشخاص المسؤولين في المعبد التي لم توضح لحد الآن[٤٢] . كما أن الملك الآشوري أسرحدون قدم وصفاً في كتاباته لمكانه هذا الدار الفنية (أي بيت مومي) التي يمكن أن يقال أنها دار للفنون ولاسيما بالفنانين الكبار[٤٣] لأن الأعمال التي يقيمون بها لإنتاج تماثيل الإلهة والملوك والأدوات الطقوسية لا يمكن أن تتم إلا من أيادي فنانين مهرة ومعروفين . لقد أخبرنا الملك الآشوري أسرحدون في إحدى كتاباته : Bēl ū bēltīja (...) kī tèmiš̆unn ina [٤٤] .

qereb al Aš̆š̆ur ibbanuma

وتعني "بيل وبيلتيا (....) خلقت أستناداً لأمرها في آشور"[٤٥] وكذلك في النص التالي (ina ẹḫursagga Kurkurra kenis̆ immaldn) وتعني "في أي خور ساك كال كركارا ولدو بصورة شرعية"[٤٦] وكذلك أيضاً ما جاء في النص : (^{d} Belet - Bābili ^{d}Ea ^{d} Madānu in qereb al Aš̆š̆ur aš̆ar nabnīt ilani^{meš} innepš̆uma) وتعني عمل بيليت بابلي وايا وداتوفي آشور وهو المكان الذي تولد فيه الإلهة"[٤٧] .

أما الأعمال الفنية من عمل أو أنتاج تماثيل الآلهة تتم في بيت مومي كما أنه هناك بعض الإجراءات الطقوسية التي كانت تقام في هذا الدار او البيت كما أن الطقوس الدينية لغسل الفم[٤٨] فأنها تذكر سلسلة من المواد التي يعمل منها تماثيل الآلهة فنواة التمثال أي الجزء الداخلي فأنه يعمل من أنواع مختلفة من الأخشاب[٤٩] .

كما يقوم هؤلاء الفنانين بأكساء صلب التمثال بنوع من المعادن الثمينة مثل الذهب والفضة والبرونز ، أما العيون فأنهم يستخدمون الأحجار الثمينة لعملها(٥٠).

وعندما يتم أكمال عمل أو أنتاج تمثال الإله ففي البداية فأن هذا التمثال لا يشم رائحة البخور أو الأكل أو الشرب وبذلك فأنهم يحتاجون إلى إجراءات طقوسية معينة لكي يوهب (الحياة) مثل طقوس فتح الفم (pīt pī) وعملية غسل الفم (mīs pī) ويكون بأستخدام البخور المقدسة(٥١) كما أن طقوس غسل الفم فيتم الأول منها في بيت مومي (bīt mumme) وبعدها يتم إجراء طقوس أخرى ليلية في ضوء المشاعل وبعدها يقاد تمثال الإله في موكب أحتفالي على جانب النهر وبعد القيام بتعزيمه للإله أيا أي مناشدته ومناداته تقدم النذور من أنواع الطعام ثم يتم للمرة الثانية طقوس غسل الفم وتقام هذه الإجراءات الطقوسية لعدة مرات لحين الوصول إلى الغاية المطلوبة(٥٢) . أما بقية الاحتفال فأنها تجرى في حديقة على النهر ويتم فيها تقديم الضحية وفي الختام فأنه يتم بصورة أحتفالية عملية فتح العين بحضور الإلهة والفنانين كإله جديد وبعدها يجلب هذا الإله بصورة أحتفالية إلى المعبد وعند البوابة تقدم القرابين وبعدها يوضع الإله في غرفته المقدسة وعندها يتم طقوس غسل الفم الأخير وهي عملية أضافية لتثبت الإجراءات الأحتفالية(٥٣) .

وبهذا يمكن القول كما يرى أحد الباحثين بأن النخبة من الباحثين والتقنين والفنانين فأنهم يتواجدون كما يظهر في نوع من دور أو مدارس أو أكاديمية (bīt mumme) . أي أن بيت مومي يمكن أعتباره نوع من الأكاديمية الفنية في مدينة آشور كما نلاحظ أنه قبل أن يبدأ الملك أسرحدون ببناء المعبد أو تزينه فأنه يأمر أحد الكهنة (بالدخول إلى الأكاديمية) وذلك لكي يسأل الإلهة لأخذ القرار بأسماء الفنانين الذين سيبدأون بالعمل(٥٤) ، وكدليل على وجود الأكاديميات في مدينة بابل أيضاً إذ نلاحظ من نصوص الملك نبونائيد أنه ذكر عندما لم يجد حجر الأساس المكتوب لمعبد الإله شمش أي الأيبار في مدينة سبار فقد قام بجمع شيوخ المدينة لسكان مدينة بابل وكذلك علماء الرياضيات والذي يعيشون في "الأكاديمية"

الذين يحتفظون بأسرار الإلهة وقام بأعطاء هم الأدوار للبحث في حجر الأســـاس القديم[٥٥] .

كما أن القواميس اللغوية الآشورية تؤكـــد بصـــورة واضحـــة أن معـــاني المصطلح (mummu) أو بيت مومي (bīt mumme) تعني :

١ - الحرفي / صاحب حرفة يدوية .

٢ - مشغل / ورشة عمل .

٣ - مدرسة للكتـــاب [٥٦] .

ومن هذا نستنتج بأن (بيت مومي) يعتبر دار للفنون والحرف أو "أكاديميـــة" والتي يتواجد فيها الفنانين والحرفين الكبار وللموهوبين في مدينة آشور (معبد الإله آشور) لبلاد آشور من العصر الآشوري الحديث .

المصـــــــادر :

١ - ليو او بنهايم : (بلاد ما بين النهري) ترجمة سعدي الروشـيدي، ص٢٣٢-٢٣٣ .

٢ - نفس المصدر السابق، ص٤٣٣-٤٣٤ .

3 - Reallexikon der Assyriologie Band 6 Berlin, New York, 1980-1983 "K" P. 309b .

ومختصره (RIA)

4 - Ibid.

5 - The Assyrian Dictionary of the University of Chicago (Chicago - Glückstadt 1956
A/1 alādu Id 4c 5a

ومختصره (CAD)

6 - CAD "E" S.V. 26 6.

7 - CAD "B" S.V. bānû A 1b1.

8 - RIA Band 6 "K" P 309b.

9 - Ibid.

10 - Archiv für Orientforschung (AFO) ومختصره
Beiheftg R. Borger "Die Inschriften Assarhaddon Osnubruk 1967 53 14-18 .

11 - Ibid 53 R. 29.

12 - Landsberger, B "Brief des Bischofs von Esagila an Kōnig Assarhaddon. Amsterdam 1965 ann 27 P. 21 .

13 - Borger, Assarhaddon 53 Rs. 21-26 .

14 - Ibid Assarhaddon 53 Rs. 29.

15 - Ibid Assarhaddon 53 Rs. 32 b - 34 .

أما انتاج التماثيل الخاصة بالإلهة . 53 Rs. 35 - 38

16 - W.Von Soden Akkadisches Handworterbuch Wiesbaden 1959 ff P. 1032a

ومختصره (AHW)

تحت الكلمة Lú Muk = Sassinu

17 - AHW P. 710 S.V. ngaru.

18 - AHW P. 5186 (Gold-undsilber Schmied).

19 - Ibid P. 880 b.

20 - Oschroeder: Keilschrift texte aus Assurverschiedenen Inhalts leipzily 1920 Nr. 113 (KAV) (ومختصره)

21 - R.F. Harper : Assyrian and Babylonian letters (Chicago 1892-1914) Nr. 185 . (ABL) ومختصره

22 - O. Schroeder KAV Nr. 114 .

23 - Harper ABL Nr. 531 .

ABL 1051 + ABL 991

24 - Borger Assarhaddon 53 Rs. 32b-3a

لإكمال عمل تماثيل الإلهة قارن Rs.35-38

25 - O. Schroeder KAV 114.

26 - CAD A/I 294b.

AHW 528a.

27 - ABL 498 : 19

وأن مصطلح bīt nukkamti فأنه يضم أيضاً مواد ليس دينية فقط بل ودنيوية أيضاً قارن AHW 721 b - 722 a .

28 - E Unger RIA Band I P. 171a.

29 - Ibid.

30 - B. Menzel Assyrische Temple . Rome 1981 Band I P.34.

31 - Van Driel The Cult of Aššur . Assen 1969 P. 37-50 .

32 - Ibid P. 11f.

33 - Ibid P. 37-50 .

34 - W. Andreo Anu-Adad Tempel . Leipzig 1909 P. 13-16 .

35 - Borger R : Einleitung in die Assyrischen Kōngsinschriften Erster Teie Leiden / Kōln 1961 P. 53f .

ومختصره (EAK)

36 - Van Driel the Cult of Aššur . P. 10-12 .

وكذلك "Preusser C "Die Palāste in Assur Berlin 1955

٣٧ - وكان في الحقيقة هو السبب في جعل رعايا هـذه المدينـة معفـون مـن الضرائب والخدمة العسكرية أنظر :

Lukenbill "Ancient Records of Assyria and Babylonia Chicago 1926 , 127 . Vol 11 , 79, 92, 99, 102.

ومختصره (ARAB)

وكذلك Borger Assarhaddon 2 II - 27 - III 15

38 - Weidner AFO 13 P. 215 f.

39 - Von Soden AHW 672a

وتعني (ورشة نحاتي المعبد)

٤٠ - وظهر بوضوح في قوائم الشهود في وثائق من العهد الآشـوري الحديـث حرفين أو فنانين للإله آشور ولمزيد من التفاصيل يراجع كـل مـن هـذا الحرف لوحده .

41 - Kinnier Wilson J.V.I The nimrud Wine list . London 1972 P. 98ff.

ومختصره (NWL) كما ان هناك مجموعة أخرى من الحرفيـــن وعلـــى رأس هؤلاء الحرفين شخص يدعى Lu GAL Se-lap-pa-a+a والذين يعودن إلى بيت مومي أيضاً أنظر أيضاً (NWL)

42 - Borger Assurhaddon 53 Rs. 14-32a
53 Rs. 21-26 .
53 Rs. 29

٤٣ - المقصود الإله مردوخ وزوجته صربانيتو.

44 - Borger Assurhaddon P. 88 , 57.

45 - Ibid.

46 - Ibid.

47 - RIA Band 6 P. 309f.

48 - Ibid.

49 - Ibid.

50 - Ebeling Tod und leben nach , Vorstellungen der Babylonier I Tell : Texte Berlin / Leipzig . 1931 , P.100.
ومختصره (TUL)
وشيء بديهي أن تكون هذه الاحتفالات في يوم غير مشؤوم.

51 - Ibid. P. 100 ff.

52 - Ibid. P. 100 ff.

53 - Meissner B. Babylonien und Assyrian Band I Heidelberg 1920 . P. 329-330 .

54 - Ibid. P. 330.

٥٥ - وقد وردت في القواميس الآشورية أشارات عديـــدة إلـــى mummu 2b والتي تعني مدرسة الكتبة وكذلك ورشة عمل. أما تحـــت بيـــت مومـــي bit mummi فقد وردت إشارات عديدة نذكر منها ما يلي :

العمل في (ربما تماثيل) الإلهات ... في ورشة العمل لقد قمت باســـتخارة فأل الأحشاء للاستدلال حول دخولي إلى بيت مومي عندما غسلت فم الإلــه في بيت مومي . وفي اليوم المناسب سوف نقدم أثنين من أنيــة (egubbû) في ورشة العمل عندما أخذت الثور إلى ورشة العمل.

لمزيد من التفاصيل أنظر :

CAD M/2 P. 197f.

mummu A تحت

bīt mummi أو تحت